

المُواطَنَةُ اللُّغَوِيَّةُ: نَظَرَةٌ فِي مَسَلِكِ الْعَرَبِيَّةِ وَسُلُوكِ أَهْلِهَا

د.محمد هتوت

الجامعة البلدية 02

الجزائر

hathoutmohammed12@gmail.fr

تاريخ القبول: 2018/05/30

تاريخ الاستلام: 2018/01/09

ملخص:

تَطْرُحُ هَذِهِ الْمَقَالَةُ جُمْلَةً مِنْ هُمُومِ الْعَرَبِيَّةِ بَيْنَ أَهْلِهَا، وَلَا تَطْمَعُ أَنْ تَنْفُضَ وَقَدْ صَاغَتْ الْخُلُولَ، وَإِنَّمَا تَتَلَمَّسُ الْآلِيَّةَ لِمُعَالَجَةِ مَسَائِلِ لُغَوِيَّةٍ فِي الْمَجْتَمَعِ ذَوَاتِ أُولَوِيَّةٍ؛ فَخَطَرُ اللُّغَةِ وَخُطُورُهَا، نَابِعٌ مِنْ كَوْنِهَا ظَاهِرَةً اجْتِمَاعِيَّةً، وَوَعْيُ الْمَجْتَمَعِ بِهَا، هُوَ الَّذِي يُحَدِّدُ تَمَاثُلَهُ وَثَبَاتَهُ فِي وَقْتٍ -نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِيهِ- تَبَرُّزُ فِيهِمُجْمُوعَةٌ مِنَ الْأُطُرُوحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ أَسَاسُهَا إِيْدِيُولُوجِيٌّ وَسِيَاسِيٌّ مَاثِلْمُمِيلٌ، يَحِيدُ عَنِ الْمَوْضُوعِيَّةِ. إِنَّ عِلَاقَةَ اللُّغَةِ بِالْأُمَّةِ وَالْدَّوْلَةِ أَوْ عِلَاقَةَ اللُّغَةِ بِالْعِرْقِ مِنَ الْعَوَامِلِ الَّتِي تُفَتِّتُ بِهَا الدُّوْلُ وَتُسْقَطُ، فَاللُّغَةُ هِيَ الَّتِي تَصُوغُ الْأُمَّةَ وَتَحَدِّدُ مَلَامِحَهَا الْحَضَارِيَّةَ؛ وَلَا نَسْتَطِيعُ التَّمَكُّنَ بَيْنَ الْأُمَمِ إِلَّا بِالْوَلَاءِ لِهَذِهِ اللُّغَةِ الَّتِي بِهَا تُسَبِّكُ الْمُواطَنَةُ، وَالْإِخْلَاصُ لَهَا هُوَ إِخْلَاصٌ لِلْوَطَنِ وَالْأُمَّةِ أَيْضًا.

الكلمات المفتاحية:

المُقَارَبَةُ اللِّسَانِيَّةُ الْجَمَاعِيَّةُ - اللُّغَةُ الْوَطَنِيَّةُ وَالرَّسْمِيَّةُ - الثَّنَائِيَّةُ اللُّغَوِيَّةُ - الازدواجية اللُّغَوِيَّةُ - السِّيَاسَةُ اللِّسَانِيَّةُ.

Abstract:

This article proposes some problems that Arabic language lives difficulty. Our object to create the mechanism for treated touch sociolinguistic questions in society. Many researches recently based on ideological and political thesis. Indeed language relationship in nation or state in the sweat from the laborers which crumbles in her the vines and falls, so the language which the nation forms and civilized features be specified her. Nations except in the allegiance for this language which in her curses you the citizenship and the loyalty

have fun loyalty for the country and the nation also.

Keywords :

sociolinguistics approach- national and official language- bilingualism- diglossia- linguistic politics .

«إِنَّ اللُّغَةَ يَسْقُطُ أَكْثَرُهَا وَيَبْطُلُ بِسُقُوطِ دَوْلَةِ أَهْلِهَا، وَدُخُولِ غَيْرِهَا فِي مَسَاكِينِهِمْ، أَوْ بِنَقْلِهِمْ عَنْ دِيَارِهِمْ، وَاخْتِلَاطِهِمْ بِغَيْرِهِمْ، فَإِنَّمَا يُقَيَّدُ لُغَةُ الْأُمَّةِ وَعُلُومُهَا وَأَخْبَارُهَا قُوَّةُ دَوْلَتِهَا، وَنَشَاطُ أَهْلِهَا، وَفِرَاغُهُمْ، وَأَمَّا مَنْ تَلَفَتْ دَوْلَتُهُمْ، وَغَلَبَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ، وَاشْتَغَلُوا بِالْخَوْفِ وَالْحَاجَةِ وَالذُّلِّ وَخِدْمَةِ أَعْدَائِهِمْ فَمُضْمُونٌ مِنْهُمْ مَوْتُ الْخَوَاطِرِ، وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِهَذَا لُغَتِهِمْ» [ابن الحزم الأندلسي: الإحكام في أصول الأحكام 34/01]

«وَمِنْ وَاجِبِ الْقَارِئِ الْعَرَبِيِّ إِلَى جَانِبِ غَيْرَتِهِ عَلَى لُغَتِهِ أَنْ يَذْكُرَ أَنَّهُ لَا يُطَالَبُ بِحِمَايَةِ لِسَانِهِ وَلَا مَزِيدَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ مُطَالَبٌ بِحِمَايَةِ الْعَالَمِ مِنْ خَسَارَةِ فَادِحَةٍ تُصِيبُهُ بِمَا يُصِيبُ هَذِهِ الْأَدَاةَ الْعَالَمِيَّةَ مِنْ أَدَوَاتِ الْمَنْطِقِ الْإِنْسَانِيِّ، بَعْدَ أَنْ بَلَغَتْ مَبْلَغَهَا الرَّفِيعَ مِنَ التَّطَوُّرِ وَالْكَامَالِ، وَأَنَّ بَيْتَ الْقَصِيدِ هُنَا أَعْظَمُ مِنَ الْقَصِيدِ كُلِّهِ..لَأَنَّ السَّهْمَ فِي هَذِهِ الرِّمِيَةِ يُسَدُّ إِلَى الْقَلْبِ وَلَا يَقِفُ عِنْدَ الْفَمِ وَاللِّسَانِ، وَمَا يَنْطِقَانِ بِهِ فِي كَلَامٍ مَنْظُومٍ أَوْ مَنْثُورٍ»

[عبّاس محمود العقّاد: اللّغة الشاعرة]

توطئة:

اللّغة بمثابة الصندوق الأسود من المجتمع، لا تفتأ تزداد أهميتها في الدراسات اللسانية الاجتماعية، فعبر بُنيانها وطرائق استعمالها والعادات اللغوية للجماعة اللغوية، تكشف عن ثقافة المجتمع وأنماط تفكيره وعن سلوكه اللغوي عمومًا، ونستشف كذلك أسباب التغيّر والتطوّر الذي يلحّ فيها، وميل الأفراد إلى نمط لغوي وتفضيل هذا على ذاك. ومثل هذا السلوك اللغوي لا يمكن عزله عن السياسة والمواطنة أو إيديولوجية الدولة.

فقد تُطرح في هذا الاتجاه جملة من الأسئلة، نحو، ما اللّغة؟ ومن صاحب السّلطة في وضع القواعد والأسس والاستعمالات والكلمات التي يجب التزامها وتُفرض على الجميع، ما السّلطة الاجتماعية للّغة ؟ وهل لأفراد نصيب في فرض السلوك اللغوي ؟ وهذه

أُسئلهُ سهلهً، ولكن الإجابة عليها عسيرة؛ فهناك تقديرٌ تقريبيٌّ للموضوع من رايه أنه كما يقفُ الفرد وراء كلامه ليدافع عنه، فإنَّ المجتمع اللغويّ يقفُ أيضًا وراء اللغة عمومًا.

1- في اجتماعيّة اللغة:

النَّظَرُ إلى علاقة اللغة بالمجتمع، اهتمامٌ راودَ اللسانيين منذ أواخر الخمسينات، ذلك لما للغة من شأنٍ عظيمٍ في عملية التّواصل في المجتمعات وبين الجماعات اللغويّة، ولقد كان اهتمامًا انطلق من اعتبار اللغة ظاهرة اجتماعيّة؛ ثمَّ إنَّ بحث الوظيفة الاجتماعية للغة أضحى على رأس اهتمامات اللسانيّات التّطبيقية وذلك راجعٌ للتّقدم العلميّ في جميع شؤون الحياة، فالعالم اليوم كما يقول "لويس" في غمرة "ثورة لغويّة" ففي خلال الخمسين سنة الماضية أحدث التّفدّم في طرق الاتّصال الماديّ -كالهاتف، واللاسلكي، والطيران والراديو، والتلفزيون، والسينما، والصّحافة...الخ- تغييراتٍ كبيرة في الحياة البشريّة. وليست اللغة ممارسةً فرديّة، وإنما هي ممارسة اجتماعيّة؛ فكلام الفرد لا يُثبت خصوصيّةه وبصمته وحسب، بل يُعبّر عن انتمائه إلى جماعة اجتماعيّة معيّنة في الآن ذاته. لذلك تعكف اللسانيّات الاجتماعية على دراسة ذلك التّفاعل (l'interaction) بين الممارسة اللغويّة وبين الظواهر الاجتماعية المحيطة بها.

وإثبات الطّبيعة الاجتماعية للغة، لم يكن خافيًا على أئمة العربيّة وجهابذتها، فابن جني(ت392هـ) يذكر في خصائصه بأنَّ حدّها: "أصواتٌ يُعبّر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم"⁽¹⁾، فهذا التعريف -على إيجازه- أجمل ما فصله اللسانيّون الغربيّون حديثًا، إذ كشف بكلمتين اللّثام عن الملامح الاجتماعية للغة، فالقومُ المجتمع، والأغراض أفكارُ المجتمع ومُشاعره؛ وينقل لنا السيوطي(ت911هـ)، في بيان الحكمة من وضع اللغة، قائلًا: "وذلك أن الإنسان لما لم يكن مُكتفيًا بنفسه في معاشه ومُقيمات معاشه، لم يكن له بدٌّ من أن يستفرد المُعاونة من غيره؛ ولهذا اتّخذ النَّاسُ المُدن ليُجتمعوا ويتعاونوا"⁽²⁾

ومن علماء اللغة الغربيّين، يُورد ديّسوسير (Saussure) في مُحاضراته أن " اللسان مؤسّسة اجتماعيّة"⁽³⁾، ومن ذلك فندريس (Vendryes)، نحو قوله: "في أحضان المجتمع تكوّنت اللغة فقد وُجدت اللغة يوم أحسَّ النَّاسُ بالحاجة إلى التّفاهم فيما بينهم"⁽⁴⁾، ومن ذا أيضًا نصّ بياجيه (Piaget)، مفاده: "إنَّ اللغة مؤسّسة اجتماعيّة تحكّمها نواميس مفروضة على الأفراد"⁽⁵⁾، وباي (Pei) بقوله: "إنَّ اللغة لها علاقة وثيقة بعلم

الإنسان وعِلْم الاجتماع بإعتباره نتاج علاقة اجتماعية⁽⁶⁾. وقد كان عالِم الاجتماع إميل دوركايم (Durkheim E.) أسبقهم وعنه أخذَ لاجقوه.

واللغة-مثلما يذكر وافي- ليست من الظواهر التي يصنعها فردٌ معيّن أو أفرادٌ معيّنون، وإنما تخلّقها طبيعة الاجتماع، وتنبعثُ عن الحياة الجمعية، وما تقتضيه هذه الحياة من تعبيرٍ عن الخواطر، وتبادلٍ للأفكار. وكلُّ فردٍ منّا ينشأ فيجدُ بين يديه نظاماً لغوياً يسيرُ عليه مجتمعه، فيتلّقه عنه تلقياً بطريقِ التّعليم والمحاكاة، كما يتلقى عنه سائر النظم الاجتماعية الأخرى⁽⁷⁾.

2- المقاربة اللسانية الاجتماعية: (l'approche sociolinguistique)

تتوقّف المقاربة اللسانية الاجتماعية للغة على مُقابلة البنية اللغوية مع البنية الاجتماعية ومدى الأثر الذي تتركه الثانية في الأولى، فالأساسُ "الاجتماعي" في دراسة «اللغة»، وفي دراسة السلوك اللغوي للشخص على جانبٍ كبيرٍ من الأهمية، فاللغة الإنسانية في نشأتها -سواءً أكانت أحادية المنشأ أم ثنائية أم متعدّدة، وأيا كانت الطريقة التي نشأت بها- من وضع المجتمع، وفي المجتمع يكون استعمال اللغة، وتعلّمها، وتطوُّرها، كما أنّ تأثيرها كائنٌ فيه⁽⁸⁾. وبحثُ البنية اللغوية، يتمُّ بالنظر إلى جملة العناصر الاجتماعية، المتمثلة في:

- الطبقة الاجتماعية (classe sociale) والفوارق بينها.
- النوع أو الجنس (le sexe) (الذكور/الإناث).
- السن (l'âge)، وتفاوت التنوعات اللغوية بين فئة الشباب وبين فئة الكهول...
- الإثنية (l'ethnie) والانحدار العرقي.
- المستوى التعليمي والثقافي (le niveau culturel) للأفراد المجتمع والجماعة اللغوية.
- الانتماء الجغرافي للأفراد (l'appartenance géographique) ومدى عزلة المناطق بعضها عن بعض.

- السياق الاجتماعي (le contexte social) الذي تجري فيه المحادثة (la conversation).
فجميع هذه العوامل، يَظهر أثرها في البنية اللغوية (la structure linguistique)، وإنَّ أيَّ تغييرٍ وجرّكٍ يلحقُ اللغة، مرّدُه التغيير وجرّك البنية الاجتماعية (la structure sociale): وهي المعوّل عليها في أيّ دراسة لسانية اجتماعية. ولعلّ مدار هذه العناصر، هو

اعتراف الجماعة اللغوية بلغة من اللغات وتمكينها من أداء وظيفتها الاجتماعية بما يحفظ ويرعى تماسكها وتوازنها، وهذا التماسك والتوازن لا يكون إلا بالولاء اللغوي للغة الوطنية والمُعبر عن هوية الجماعة.

1-2- المواطنة اللغوية والهوية:

المواطنة⁽⁹⁾ اللغوية (la citoyenneté linguistique)، مفهوم يُداول في اللسانيات الاجتماعية ووضعيات تماس اللغات، يدل على انتماء جماعة لخصوصية ثقافية وإيديولوجية، ولعلّ -اليوم- من العوامل المثيرة لهذا المفهوم -على المستوى الدولي- تلك العواصف اللغوية أو الهيمنة اللغوية لبعض اللغات ذات السطوة العالمية، وعلى رأسها الانجليزية، فقد أضحت قُطب جذب تتجه الثقافات والهويات إليه فتصهر فيه نظراً لتمكُّنها من أسباب العلم والتكنولوجيا والمال⁽¹⁰⁾.

واللغة الوطنية أهمُّ مكونات الأمة والدولة "فاللغة عاملٌ أساسي في بناء الأوطان، وفي توحيد الأفراد، وفي التزام المجموعات بالوطن، تُقوي الشعور بالانتماء إلى الوطن، وتُنهي الحاجة إلى التعاون بين المواطنين، تربط الفرد بجُوده وبتراثه وبتقاليده، وتُساعد في تطوير النظام التعليمي بحيث تُتاح للجميع فرصُ التعلُّم"⁽¹¹⁾.

والإخلال بهذا العنصر والتقليل من شأنه، سيُبعثُ على تفكُّك الدولة واصطِراع الجماعات اللغوية، "واللغة عاملٌ انقسامي في الوطن الذي يتكلم أبناءه أكثر من لغة واحدة. فعندما تشعر مجموعة لغوية بالغبن في وطنها يتفاقم خطر الانفصال بسبب العامل اللغوي، وتقوى النزعة الانفصالية في وجود التفافٍ اجتماعي وانعدام المساواة في فرص العمل، إذ تتحد الأقليات التي تتكلم اللغة الواحدة في حركات وتنظيمات سياسية تعمل على رفع شأن الجماعة ككل، وغالبًا ما تكون الجماعة مغلوبَةً على أمرها في النواحي الاجتماعية والاقتصادية لأنها اللغة الرسمية والتأفدة، ممَّا يزيد من شعورها بالغبن"⁽¹²⁾.

والعامل السياسي وقرار السَّاسة، أسبق وأكثر خطورةً من العامل الاقتصادي، "وفضلاً عن الظروف الاقتصادية يجب أن نُدخل في حسابنا الموقف السياسي. فبعض الشعوب تتمسك بهذه اللغة دون تلك ويرخي لها عمداً عنان التفشي مدفوعاً في ذلك بعاطفة وطنية أو بقصد إظهار استقلاله أو بنفوذ من دولة مجاورة. ومن المؤكد مثلاً أن مركز

كل من الفلمنيّة والفرنسيّة في بلجيكا لا يتوقّف على الطُروف الاقتصادية فحسب، بل تُضاف إليها بواعث سياسيّة ينبغي للعالم اللُّغويّ ألا يُسقطها من حسابه⁽¹³⁾.

2-2- اللُّغة الوطنيّة واللُّغة الرّسميّة والتّشريع اللّساني:

كوناللُّغة وطنيّة⁽¹⁴⁾، هذا معناه الإشارة إلى أيديولوجيّة ومرجع معيّن يُحيل إلى الجوانب التاريخيّة والجغرافيّة والجيوسياسيّة للُّغة، أمّا كونها رسميّة، فهذا يعنّيان "ينصّ عليها دستورُ الدّولة أو الجماعة اللّغويّة وتستعملُ هذه اللُّغة على المستوى الرّسمي في المكاتبات والوثائق، وقد تكونُ هذه اللُّغة الرّسميّة في نفس الوقت اللُّغة الوطنيّة"⁽¹⁵⁾. فجوهز اللُّغة لا يقوم "على نظامٍ مجرد على هيئة أو شكلٍ لّسانيّ، ولا على ملفوظٍ أحادي مُنعزل، ولا على الفعل التّفسي-الفيزيولوجي من حيث إنتاجه، لكن من خلال المظهر الاجتماعيّ للتّفاعل الكلاميّ المتحقّق بواسطة الملفوظ والملفوظات، ومن ثمة فالتّفاعل الكلاميّ هو الواقع الأساس للُّغة"⁽¹⁶⁾؛ وإنّ تفعيل اللُّغة الوطنيّة والرّسميّة في المُجتمع حتّى تصير واقعًا ملموسًا، يقضي الانطلاق من قاعدة المُجتمع وُصولاً إلى رأس الهرم⁽¹⁷⁾

والعربيّة -التي تنصّ عليها دساتيرُ بلدان الوطن العربيّ- قد عانت تجاذباتٍ ومضايقاتٍ بين نخب المُجتمع ولا زالت...، في وقتٍ نحن في مسيس الحاجة إلى تحقيق مُجتمعٍ يُحافظُ على لغته وهويّته، ومُتّزن مُستقرّ مُنفتحٍ على اللُّغات الأخرى، فرنسيّة كانت أو انجليزية...، يستفيد منها بما يخدم الوطن ويبني المواطن الصالح.

ومثلُ هذا الضّيم اللُّغويّ له خلفيّاته التاريخيّة التي تبرّره، حين النّظر إلى مسألة العربيّة في الجزائر؛ وقد أكّد ذلك الرئيس السابق، هواري بومدين -رحمة الله عليه- في إحدى خطبه الرّسميّة، قائلاً: «الجيلُ الَّذي تكوّن باللُّغة العربيّة خلال حرب التّحرير، أو بعد الاستقلال مباشرة، لم تكن عنده الفرصة الكافية لكي يصلَ إلى مراكز معيّنة من مراكز السّلطة، سواء كانت هذه المراكز إداريّة أو اجتماعيّة» وظلّت الوظائف القياديّة محظورة (بكيفيّة غير رسميّة) على المتعلّمين باللُّغة العربيّة بدعوى، من بعض المسؤولين الماسكين بزمام الإدارة، أن المتعلّمين باللُّغة العربيّة ليسوا أكفاء لوظائف التّسيير والقيادة، بحكم ثقافتهم العربيّة «المتخلّفة»، بالمقارنة مع الثّقافة الفرنسيّة العصريّة «المتطورة» في اعتقادهم!⁽¹⁸⁾.

وعوض أن تتعايش الثقافتين، فتستفيد كل واحدة من الأخرى في خدمة هذا الوطن المهدى، صارت النخبان - في كثير من السياقات - تتنابر أو تتصادم، " فالأولى ترتبط بالوطنية والقومية والدين والثقافة، والثانية ترتبط بالمصالح والمناصب والامتيازات، وقد احتار الأفراد أمام الاختيار الصعب بين إرضاء الضمير والاستجابة إلى العاطفة الوطنية، وبين تحقيق المصالح الشخصية. واختلفوا إلى اتجاهين أحدهما يدعو للتعريب ويعمل على تحقيقه، والآخر يدعو للإبقاء اللغة الفرنسية ويعمل على إرساخ أقدامها في البلاد" (19).

بالإضافة إلى مسألة الأمازيغية، التي بدأت جذورها تتأجج - حديثاً - مع تلويح الدول الأوروبية بشعار ديمقراطية اللغات، مع أننا نلمس هيمنة للانجليزية أو أميرالية أو عنصرية لغوية، وإلغاء لخصوصية لغات أخرى في المحافل الدولية؛ وبالتالي فالقضية جوهرية خطيرة، تحتاج إلى تقوية المناعة اللغوية، فيكون على رأس كل ذلك الآلية أو الإطار التشريعي تحريك الإرادة السياسية تتوافق مع أغلبية المجتمع (20)

2-3- الثنائية اللغوية والإزدواجية اللغوية:

تُعرف الثنائية اللغوية (21)، على أنها: "ظاهرة لغوية تعني استعمال الفرد أو المجتمع في منطقة معينة للغتين" (22)، وهي أنواع تختلف من الناحية الوظيفية بين، الثنائية اللغوية على صعيد الوطن، الثنائية اللغوية الإقليمية، الثنائية اللغوية المؤسسية، الثنائية اللغوية المدرسية أو التربوية، الثنائية اللغوية المؤسسية المؤقتة، تبعاً لظروف ووضعيات اللغات داخل المجتمعات والسياسات اللسانية المقررة في الدول، فالعربية اليوم، تعيش ثنائية لغوية وصراعاً حامي الوطيس مع لغات وافدة (انجليزية وفرنسية) (23) بكل سطوتها الثقافية وسلطانها الاقتصادية وهبتها الدولية؛ ومما يدعى له هذا الخطر في بيتنا اللغوية العربية، مواضع أرى مبعثها من:

1- المؤسسات التربوية والتعليمية المعنية بالمرحلة الأولى لتعليم وتلقين اللغة الوطنية والرسمية الأولى (العربية)، فهي أخطر مرحلة، لما لها من علاقة في تكوين المخيال اللساني (24) عن اللغة الوطنية عند المتعلم، لذا فهي تستدعي من الملقن معرفة شاملة باللغة بالقدر الذي يكون في ذهن المتلقي صورة مثالية ومهيبة عن لغته، وهو عامل له " دوره في المحافظة على سلامة الكثير من اللغات وبقائها" (25).

2- مؤسسات التعليم العالي، وهي مرحلة مرتبطة بالأولى، فتلقين العلوم والمعارف للمتعلم يتركز على نوعية تكوين الملقن في شتى العلوم المستحدثة بلغة علمية قميئة يحمل المفاهيم الوافدة، ومما تجدر الإشارة إليه ما نلمسه من انجسار العربية واقتصارها في التعليم على أقسام العلوم الإنسانية والاجتماعية وسيطرة اللغة الأجنبية على باقي الأقسام العلمية والتقنية، بل أن أقسام العلوم الإنسانية والاجتماعية، قد تشكو في كثير من الأحيان تضعُّعًا في مستوى العربية؛ وهذا يجعلنا نتخبط في وضعية الثنائية اللغوية غير متكافئة، وإن لم أقل سيحينا الأمر إلى ازدواجية لغوية (a diglossie) ⁽²⁶⁾؛ فالعربية "في المحيط التعليمي لهؤلاء الطلبة تعيش في صراعٍ مريعٍ مع اللغة الأجنبية، لغة التعليم المفروضة، وتُعاني من تداخلٍ بغيضٍ متواصلٍ مع هذه اللغة، وهذا ما يزيد الموقف سوءًا وخطرًا ويُبَرِّر الخوف على مستقبل لغة هؤلاء الطلبة ولغة المجتمع الذي سيعملون فيه" ⁽²⁷⁾ وربما أدت بعض حالات التعليم باللغة المهجنة (خليط بين العربية والفرنسية أو الانجليزية) إلى مسخ لغوي لا يدرك الطلبة معه حدود العربية مع اللغة الأجنبية في نواحي صوتها وصرفيها ونحوها، ما يؤثر حالة خطرٍ على أمنهم اللساني والمعرفي.

3- العربية في أجهزة الإعلام والاتصال المسموعة والمرئية والمقروءة، وما تنضح به من مستوى عاجزٍ عن الإبلاغ أحيانًا، يجعل حدوث ظواهر التحول اللغوي من العربية نحو الفرنسية أو نحو الهجين اللغوي قائمًا.

4- كتابه لافتات المحلات التجارية وأسماء الشوارع والفنادق والمؤسسات الاقتصادية والصناعية العامة أو الخاصة، فالكثير منها، يتم تدوينها باللغات الأجنبية دون أن تكون هناك ضوابط تحكم هذا الاستخدام.

5- عقود وطلبات العمل وجميع التعاملات مع المؤسسات الخاصة والأجنبية وحتى العمومية، يجري فيها التعامل والتخاطب باللغات الأجنبية أخذًا في اعتبار أن اللغة العربية قاصرة في ذاتها، ولا تستطيع الإيفاء بمثل هذه المتطلبات العصرية.

6- تغليب اللغات الأجنبية في العديد من المكتبات والمحافل الوطنية والدولية التي يرى القائمون عليها بأن العربية تفتقر إلى المفردات وتفتقد الصبغة العلمية في صيغها وتعاييرها.

7- إنجازُ المُدَكِّراتِ والأَطروحاتِ الجامعيَّةِ المُحرَّرةِ بِاللُّغاتِ الأجنبيَّةِ وعدمُ إتباعِها بِملَخَّصَاتِ بِاللُّغةِ العربيَّةِ.

8- نَسْخُ التَّعابِيرِ ⁽²⁸⁾ ومُحاكأتُها لِنظائِراتِها الأجنبيَّةِ دونَ مراعاةٍ لِخصوصيَّةِ العربيَّةِ، وتكثُرُ هذه الظَّاهِرةُ في اللُّغاتِ التَّواصلِيَّةِ الصِّحافيَّةِ وشبكاتِ الاتِّصالِ (المعلومايَّةِ و الهواتِفِ المَحْمُولَةِ)، والظَّاهِرُ فيها إنَّ سُرعةَ نَقْلِ هذه التَّعابِيرِ دونما تَرو، والتَّركيزُ على اللُّغةِ المَنقولِ منها، يُفقدُها في كَثِيرٍ مِنَ الأحيانِ، خُصوصيَّتها ودِقَّتِها في التَّعبيرِ.

9- العربيَّةُ في الهَيئاتِ الدُّوليَّةِ ومكاتبِ الأُمَمِ المُتَّحدة، وأنا لا أرى صِراعَها مَعَ الانجِلِيزِيَّةِ والفرنسيَّةِ ولغاتٍ أُخرى بِأقلِّ خطراً وأَمناً مِن يَبِيئِها وأرضِها مَعَ أهلِها، فَتَغلبُ اسْتِعمالُ الانجِلِيزِيَّةِ لِمَا لَها مِن وَزْنٍ دُولِيٍّ وَلِكونِها "لُغةُ التَّعاملِ" ⁽²⁹⁾ الاقْتصادِيَّ والتَّبادلاتِ التِّجاريَّةِ، قَدْ أضعَفَ شوكةَ العربيَّةِ والحدَّ مِن اسْتِخدامِها، ورَبَّما سِيفتُحُ البابُ أَمامَ المدِّ المُتنامي لِلسَّانِيَّةِ داخلَ البيئَةِ العربيَّةِ.

فإِخراجُ المُحتَلِّ مِنَ البِلادِ، أوجَدَ فيمَا بَعْدَ وَضعيَّةٍ لُغويَّةٍ غَيرَ متكافئةٍ اجتماعيًّا، متصارعةٍ في سياقاتٍ مُختلفةٍ، "وقَدْ بَقِيَتِ الازدواجِيَّةُ اللُّغويَّةُ غالِبًا، هي المكوَّنُ لِلنُّخبَةِ اللُّغويَّةِ" ⁽³⁰⁾.

ورَفَعُ هذا الغُبنِ اللُّغويِّ، يَكُونُ بِالتَّنَازُلِ اللُّغويِّ لِصالحِ اللُّغةِ الوطْنيَّةِ والرَّسميَّةِ، وتَقَرِّبِ مُستوياتِ الاسْتِعمالِ اللُّغويِّ مِثْلما يَذْكَرُ كمالُ بَشَر، بِقولِهِ: "والفَرْقُ بَيْنَ المُجْتَمَعِ المتكاملِ السليمِ والمُجْتَمَعِ (المتنافِرِ) المريضِ هو في تقارُبِ المُستوياتِ اللُّغويَّةِ في الأوَّلِ وتباعِدها في الآخرِ، فتقارُبُ مُستوياتِ التَّعبيرِ دليلٌ على تجانسِ المُجْتَمَعِ وتوازنِ طبقاتِهِ وحيويَّةِ ثقافتِهِ. وَمِن ثَمَّ (يُشيرُ) إلى تكاملِهِ وسلامَتِهِ (الفكرِيَّةِ). فَمِن الثَّابِتِ أَنَّ العُصورَ الَّتِي يَسودُ فيها نَوْعٌ مِنَ التَّأَلُّفِ بَيْنَ المُستوياتِ العِلْميَّةِ والأدبيَّةِ والعمليَّةِ هي غالِبًا أَزهى العُصورِ وأرقاها. أمَّا إِذا كانَ كُلُّ مُستوى لُغويٍّ بَعيدًا كُلِّ البُعدِ عَنِ الآخرِ، فَهو دليلٌ على الانفِصامِ (الفِكري) في المُجْتَمَعِ، وهذا يُؤدِّي إلى التَّدْهَوْرِ والانحطاطِ والشَّيْخوخَةِ..." ⁽³¹⁾.

4-2- الهَيئَةُ اللِّسَانِيَّةُ: (l'aménagement linguistique)

اقْتَرَنَ مَفْهُومُ الهَيئَةِ في بادئِ الأَمْرِ بِالمُجْتَمَعاتِ ذاتِ التَّعدُّدِيَّةِ اللِّسَانِيَّةِ، إِذ القَصْدُ مِنْها "مَجْموعُ الجُهودِ المَبْدُولَةِ، الرامِيَّةِ إلى تَعديلِ الأَلْسَنَةِ وذلكَ فيمَا يَخْصُ مَكَانَتِها أو مُدَوَّنَتِها

"، أو هي:" البحثُ والترتيبُ المنظمُ للخلولِ المُقترحةِ والخاصّةِ بمشكلاتٍ لسانيةٍ ما، والمطروحةُ في جماعةٍ مُعطاءة، وهي عموماً متعدّدة اللغات" (32).

والاشتغالُ على اللغة، يتمُّ على ثلاثِ نواحي: السوسiolسانية، والسّياسي، واللّساني؛ وإذا كان من مَكانتها، "فهي خارجيّة كما هو الشّأن في اللّسانيّات التّاريخيّة عندما يتعلّق بالوضع الاجتماعيّ للّسن موضوع التّهيئة" (33) أو أن تأخذ لهجةً ما مرتبة اللغة المعيارية الرّسميّة للدولة، وهي داخلية عندما يكون مناطُ الأمر بُنية اللغة ذاتها (34)؛ وإنّ الدّاعي إلى التّهيئة المُصطلحيّة - الّتي هي ضلعٌ من التّهيئة اللّسانية كلّ - هو التّقدّم العلميّ والتقنيّ الحاصل في المُجتمعات ورغبة أخرى في اللحاقِ بالركب، وتحدّيث مُصطلحيّتها حتّى تقوم لها قائمةٌ في التّواصل الدّوليّ والعالميّ، وهي ضرورةٌ وإجراءٌ يتعدّى مُستوى سُلطة الأفراد إلى سُلطة الدّول والحكومات والمؤسّسات المجمعّة الّتي تُجند اللّسانيين والمُصطلحيين من أهل الاختصاص فتوكّلهم أمر تقرير الوُضعيّات اللّسانية والتّدخل؛ وإنّ "منتهى الغاية في أفعال التّهيئة المُصطلحيّة هي التّغيير اللّغويّ، وإنّ الأداة بالنّسبة للدّول القائمة على التّهيئة، هي التّصرّف أو التّرسيم (l'officialisation) المُصطلحيّ، الّذي يستهدف إشاعة المُصطلحات المُرسّمة وازدراعها" (35).

ولأجل التّدخل المُصطلحيّ، يجبُ أن يبدأ هذا الإجراء، من تصوّر مشروعٍ مُصطلحيّ ويصل إلى الإدخال أو إزدراع (l'implantation) المُصطلحات في نسيج اللغة، ومثل هذه الخطوات هي في الشّكل التّالي: (36)

أ- تحليل الحاجات المُصطلحيّة لوضعيّة مُعيّنة باستعانة بدراسة مُسبقة للإطار، واختيار استراتيجيّات التّدخل أكثر تناسلاً وتلاؤماً.

ب- إعداد مُخطّط عمل مُصطلحيّ يُناسب حاجات قطاعٍ مُعيّن.

ج- إعداد المُصطلحيّة مع إشراك المُحيط المُستهدف.

د- معيرة المُصطلحيّة المُعدّة.

هـ- اختيار ركيزة وشكلٍ لأجل تمثيل.

و- إزدراع المُصطلحيّة بالتّدخل الحيويّ المُلائم.

ي- التّحيين الدّائم للمُصطلحيّة.

كَمَا تَسْتَنْدُ عَمَلِيَّةُ التَّهْيِئَةِ اللِّسَانِيَّةِ إِلَى دَعَائِمٍ أَرْبَعٍ أَاسَاسِيَّةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا، تَنْطَلِقُ أَوَّلًا مِنْ: تَقْيِيمِ الوُضْعِيَّةِ اللِّسَانِيَّةِ (تَحْدِيدِ المُشْكَلَاتِ، قِيَاسِ دَرَجَةِ فَعَالِيَّةِ المَعَايِيرِ المُسْتَحْدَمَةِ فِي مُخْتَلَفِ المَرَاكِ إِلَى حَدِّ التَّقْيِيمِ التَّهْيِئَةِ)، الجَانِبِ الدِّسَانِي (صِيَاغَةُ المَرَامِي لِإِسْتِرَاطِيَّةِ قَصْدِ بُلُوغِهَا)، التَّخْطِيطِ (الْبَرْمَجَةُ الزَّمْنِيَّةُ، التَّوَقُّعَاتُ، تَسْيِيرُ المَوَارِدِ)، والأَفْعَالِ (العَمَلِيَّاتِ الفِعْلِيَّةِ المَلْمُوسَةِ المُرتَبِطَةِ بالتَّدْخُلِ فِي مُدَوَّنَةِ اللُّغَةِ والوُضْعِيَّةِ اللِّسَانِيَّةِ).

2-5- السِّيَاسَةُ اللِّسَانِيَّةُ: (la politique linguistique)

تَسْتَدْعِي أَيَّ تَهْيِئَةٍ لِّسَانِيَّةٍ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، سِيَاسَةً قَدْ تَخْتَلِفُ مِبَادِئُهَا وَتَطْبِيقَاتُهَا مِنْ دَوْلَةٍ لِأُخْرَى، فَهِيَ "مَجْمُوعُ الاختِيَارَاتِ الوَاعِيَةِ المُقَامَةِ فِي مَجَالِ العِلَاقَاتِ بَيْنَ اللُّغَةِ والحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وَعَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ بَيْنَ اللُّغَةِ والحَيَاةِ الوُطْنِيَّةِ" (37)، فَمَدَارُ السِّيَاسَةِ اللِّسَانِيَّةِ هُنَا، هُوَ السُّلْطَةُ الَّتِي تَتَوَلَّاهَا الدَّوْلَةُ، وَهِيَ مُرتَبِطَةٌ بِأَوْصَالٍ وَتُقَى بِالتَّرْكِيبَةِ اللِّسَانِيَّةِ لِلشَّعْبِ، مِنْ حَيْثُ اعْتِمَادُ اللُّغَاتِ الرَّسْمِيَّةِ والوُطْنِيَّةِ دَاخِلَ الدَّوْلَةِ.

وَلَعَلَّ مِنْ بَيْنِ المِهَامِ الَّتِي تَطَّلِعُ بِهَا السِّيَاسَةُ اللِّسَانِيَّةُ، "تَأْسِيسُ أَوْ إِصْلَاحُ نِظَامِ الكِتَابَةِ، تَسْيِيرِ التَّعْدُدِيَّةِ اللِّسَانِيَّةِ فِي الدَّوْلَةِ، مَعْبَرَةٌ لِهَجَّةٍ تَمَّ ارْتِقَاؤُهَا إِلَى لُغَةٍ رَسْمِيَّةٍ (ضُرُورَةُ تَشْكِيلِ القَوَاعِدِ، المُعْجَمِ، مُصْطَلَحِيَّةٍ لِأَجْلِ النِّشَاطَاتِ العِلْمِيَّةِ وَالتَّقْنِيَّةِ...)، مُرَاقَبَةُ التَّوَلِيدِ المُعْجَبِيِّ (مُقَاوَمَةُ الهَجِينِ الفَرَنْسِيِّ والانْجَلِيزِيِّ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ)، إِعْدَادُ جِهَازٍ تَعْلِيمِيٍّ مُحْكَمٍ..." (38)

2-6- التَّخْطِيطُ اللِّسَانِي: (la planification linguistique)

يُطْلَقُ مَفْهُومُ التَّخْطِيطِ اللِّسَانِي عَلَى المَرَحَلَةِ الثَّانِيَّةِ مِنَ التَّهْيِئَةِ، فَهُوَ التَّطْبِيقُ الفِعْلِيُّ لِسِيَاسَةِ لِّسَانِيَّةٍ بَعِيْنَهَا أَيُّ الانْتِقَالِ إِلَى العَمَلِ المِيدَانِي، والدَّوْلَةُ وَحْدَهَا هِيَ الَّتِي تَمْلِكُ السُّلْطَةَ وَالوَسَائِلَ الَّتِي تُمَكِّنُهَا مِنَ الانْتِقَالِ إِلَى مَرَحَلَةِ التَّخْطِيطِ وَانْجَازِ اختِيَارَاتِهَا السِّيَاسِيَّةِ بِتَسْخِيرِ الوَسَائِلِ المَالِيَّةِ، وَالبَشَرِيَّةِ، والعِلْمِيَّةِ فِي ظَرْفِ زَمَنِيٍّ مُعَيَّنٍ، مَعَ تَصَوُّرٍ لِتَوَقُّعَاتِ الحَاصِلَةِ مِنَ التَّدْخُلِ اللِّسَانِي.

وَيُحَدِّدُ هُوَ (E. Haugen)، التَّخْطِيطُ اللِّسَانِي فِي النِّحْوِ التَّالِي: (39)

"أَفْهَمُ مِنْ كَلِمَةِ التَّخْطِيطِ، النِّشَاطُ الَّذِي يَقُومُ بِتَحْضِيرِ إِمْلَاءِ وَقَوَاعِدِ وَمَعَاكِمْ نُمُودِيَّةٍ لِتَوْحِيدِ الكُتَّابِ وَالمُتَكَلِّمِينَ فِي مُجْتَمَعٍ لُغَوِيٍّ غَيْرِ مُتَمَاكِ. وَفِي هَذَا التَّطْبِيقِ العَمَلِيُّ لِلْمَعْرِفَةِ

الألسنيّة، يتعدّى عملنا إطار الألسنيّة الوصفية ليشمل مجالاً يجب فيه ممارسة الأحكام في شكل اختيارات بين الأشكال اللغوية المتوافرة".

فالتخطيط يتتبع محاولة توجيه تطوّر اللغة في الاتجاه الذي يرغب فيه المخطّطون "قصد حلّ المشكلات اللغوية التي تعترض الدولة، من هذه المشكلات: ⁽⁴⁰⁾

- 1- وضع مقاييس للكتابة الصحيحة والكلام الجيد.
- 2- مُلاءمة اللغة كوسيلة تعبير للشعب الذي يستعملها.
- 3- قدرة اللغة على أن تكون أداة الإبداع الفكري والعلمي.
- 4- عدم القدرة على التفاهم بين المجتمعات اللغوية المتنوعة ضمن الدولة الواحدة.
- 5- اختيار لغة التعليم.
- 6- ترجمة الأعمال الأدبية.
- 7- اعتماد اللغة المناسبة للتبادل العلمي.
- 8- القيود الموضوعية على الاستعمال اللغوي في بعض المجتمعات.
- 9- التنافس بين اللهجات والارتقاء بلهجة إلى مرتبة اللغة الرسمية.
- 10- المحافظة على التوازن بين مصلحة الدولة ومصلحة الأفراد في المجال اللغوي."

وغالباً ما تقوم الدول -في هذه المرحلة- بتأسيس لجانٍ ومُنظّماتٍ تتحمّل عبء تطبيق السياسة اللسانية على أرض الميدان، كما يُعد الإطار القانوني والتشريعي من مرتكزات هذه المرحلة، إذ يتم "صنع القرارات، غالباً بدعمٍ تشريعي، بشأن الحالة الرسمية للغات واستخدامها السياسي" ⁽⁴¹⁾، ويمثّل ذلك ما يُوضع من النصوص القانونية تكفل تنظيم سريان اللغة والمدونة المصطلحية وحمايتها داخل مؤسسات الدولة. وبالنسبة للمصطلحات، فإنّ خطط التّقييس ومنهجيّات توحيد المصطلح، من أسس هذه المرحلة أيضاً.

7-2- التّدخل اللسانيّ: (l'intervention linguistique)

يُشكّل التّدخل، مجموع الأدوات الفعلية الملموسة، ويكون في عمومها، على مستوى وضعيتها ومكانتها في المجتمع والأمر ههنا يتعلّق بمنزلة اللغة من حيث اعتمادها لغةً رسميةً، وقوميةً ولغةً للتعليم وغيره من الوظائف الاجتماعية، وأمّا على مستوى مدوّنتها، فإذا أخذت اللغة دورها التعليمي واقتضى الحال أن تُساير اللغات في تقدّمها،

كَانَ سَبِيلَ الْوَضْعِ وَالتَّوْلِيدِ أَوْ إِصْلَاحِ الْخَطِّ، أَحَدَ طُرُقِ التَّدْخُلِ، وَيُعَدُّ الْمَعْيَرَةُ أَوْ التَّقْيِيدُ أَوْ التَّنْمِيطُ، مِنَ الْمَعُولِ عَلَيْهِ لِلتَّدْخُلِ فِي الْمُدَوَّنَةِ الْمُصْطَلَحِيَّةِ، وَيَذَكُرُ هَيْلْمُوتُ فِلْبِر (H.Felber)، نَوْعَيْنِ مِنَ مَظَاهِرِ الْمَعْيَرَةِ الْمُصْطَلَحِيَّةِ (la normalisation terminologique):

(42)

- (أ) تَقْيِيدُ مَبَادِي وَمَنَاهِجِ وَضْعِ الْمُصْطَلَحَاتِ، أَيْ تَنْمِيطِ قَوَاعِدِ الْعَمَلِ مُمَارَسَةً وَتَطْبِيقًا (النَّظَرِيَّةُ الْخَاصَّةُ لِعِلْمِ الْمُصْطَلَحَاتِ terminographie) بِمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ مَعَاجِمِ مُخْتَصَّةٍ وَبُنُوكِ مُصْطَلَحَاتٍ وَمَا إِلَى ذَلِكَ.
- (ب) تَقْيِيدُ أَوْ تَنْمِيطِ الْمُصْطَلَحَاتِ ذَاتَهَا فُرَادَى كَانَتْ أَوْ فِي شَكْلِ مَجْمُوعَاتِ مُصْطَلَحِيَّةٍ (قَوَائِمُ مَعَاجِمِ مُخْتَصَّةٍ مَسَارِدٍ...)

وَتُعَدُّ الْمَجَامِعُ اللُّغَوِيَّةُ وَالْعِلْمِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ، الْمَسْؤُولَةُ عَنِ عَمَلِيَّةِ الْمَعْيَرَةِ وَإِخْرَاجِ الْمَعْجَمَاتِ الْمُتَخَصِّصَةِ لِلنَّاسِ، وَعَلَى مَوْسَّسَاتِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِلْتِزَامُ بِمَا يُصَاغُ وَيُوضَعُ؛ وَلَا يَجِبُ هَهُنَا أَنْ تُنَاسَى قَضِيَّةٌ هِيَ مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ، أَلَا وَهِيَ الشُّقُّ الْمُتَعَلِّقُ بِالْجَانِبِ الْاجْتِمَاعِيِّ لِلْمُصْطَلَحَاتِ أَيْ مَدَى مَقْبُولِيَّةِ مُصْطَلَحَاتٍ دُونَ أُخْرَى بِالنِّسْبَةِ لِلْجَمَاعَةِ اللُّغَوِيَّةِ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ تَسْتَنْدُ إِلَى جَمْعِ الْعَيِّنَاتِ وَإِعْدَادِ الْمُدَوَّنَاتِ، وَذَلِكَ لِمَعْرِفَةِ مُيُولِ وَدَوَافِعِ الْأَفْرَادِ نَحْوِ أَشْكَالٍ وَأَنْمَاطٍ لُّغَوِيَّةٍ مَعْيَنَةٍ.

خاتمة:

تُفْضِي بِنَا هَذِهِ الْوَقْفَةِ إِلَى جُمْلَةٍ مِنَ النَّتَائِجِ، أَذْكَرُهَا فِي الْآتِي:

- 1- اللُّغَةُ أَسَاسٌ وَأَهَمُّ مَكُونٍ لِثِقَافَةِ الْمُجْتَمَعِ وَهَوِيَّتِهِ، فَلَا يُمَكِّنُ تَصَوُّرُ تَوَازُنِ الْمُجْتَمَعِ وَثَبَاتِهِ وَتَقَدُّمَهُ بَعِيدًا عَنِ هَذَا الْمَكُونِ.
- 2- تَوْقِفُنَا الْمُقَارَبَةَ اللَّسَانِيَّةَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ عَلَى الْحَقَائِقِ اللُّغَوِيَّةِ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَمَدَى مِيلِ جَمَاعَةٍ لُّغَوِيَّةٍ إِلَى شَكْلِ لُغَوِيٍّ مَعْيَنٍ أَوْ عَزُوفِهَا عَنْهُ، وَدَرَجَةِ وَعْيِهَا بِالمَسْأَلَةِ اللُّغَوِيَّةِ.
- 3- ضَرُورَةُ الْمُقَارَبَةِ اللَّسَانِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَاسْتِقْرَاءِ الْعَيِّنَاتِ، وَهِيَ كَفِيلَةٌ بِتَقْرِيْبِ الْمُعْطِيَّاتِ لِصِنَاعَةِ سِيَاسَةِ لِسَانِيَّةٍ تُرَاعَى فِيهَا الْمَصَالِحُ الْعُلْيَا لِلْبِلَادِ.
- 4- مَعْرِفَةُ التَّغْيِيرِ وَالتَّطَوُّرِ الْحَاصِلِ فِي بُنْيَةِ اللُّغَةِ وَأَسْبَابِهِ.
- 5- وَضْعُ النُّصُوصِ الْقَانُونِيَّةِ لِحِمَايَةِ اللُّغَةِ الْوِطْنِيَّةِ وَالرَّسْمِيَّةِ، وَالزَّامِ الْأَفْرَادَ بِهَا.

الإحالات:

- 1- ينظر: ينظر: ابن جني، الخصائص، ج1، ص 33.
- 2- ينظر: السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج01، ص 36.
- 3- voir: Saussure, cours de linguistique générale, p22.

هذا وإن كان سوسير قد أشار إلى الطبيعة الاجتماعية للسان، فإن أحد تلامذته -وهو مييه MEILLET- خالفه في نظريته وصيغته بإزاء اللسان (la langue)، نحو: $1=...1+1+1+1$ (نموذج جماعي) (cours, p 27). وأن على اللسانيات دراسة اللسان، الجانب الجوهري -وهو ثابت/جامد- لا الكلام (la parole) وهو الجانب الثانوي؛ وخلاف مييه يظهر في أن الأولى على اللسانيات -وهي علم اجتماعي- أن تعكف على دراسة " التغيرات في البنية الاجتماعية التي تُترجم بالتغيرات الحاصلة في البنية اللسانية "، ينظر: ZEMMOUR David, initiation à la linguistique, p66

وقد ذكر كمال بشر -في هذا الصدد- رأياً مفادُه: "أما مقولة دي سوسير بأن «اللغة» (langue) اجتماعية أو جماعية collective وsocial فلا يناقض مأخذ علماء اللغة الاجتماعيين عليه من إهمال للنظرة الاجتماعية للغة؛ ذلك لأنهم:

أولاً: لا يفرقون بين «اللغة» و«الكلام» بمفهوم دي سوسير، وثانياً لأن وصفه «اللغة» بأنها اجتماعية وصف ذو معنى خاص عنده. هي «اجتماعية» عنده بمعنى أنها ملك الجماعة لا ملك الفرد، فهي حسيّة القواعد العقلية المستقرة في ذهن هذه الجماعة، وهي مجموع تقاليدها وأعرافها اللغوية و«الاجتماعية» وصفاً للغة عنده لا تعني سلوكها الاجتماعي وطرائق استخدام الأفراد لها، لأن هذا السلوك وتلك الطرائق إنما تتحقق في «الكلام» الذي أخرجه دي سوسير نفسه من النظر في إطار علم اللغة، وإنما تلقى مسؤولية هذا «الكلام» parole إلى علماء النفس كما قرّر هذا العالم "، ينظر: بشر، علم اللغة الاجتماعي مدخل، ص 57.

- 4- ينظر: فندريس، اللغة، ص 35.
- 5- ينظر: المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 161.
- 6- ينظر: باي، أسس علم اللغة، ص 42.
- 7- ينظر: وافي، اللغة والمجتمع، ص 04.
- 8- ينظر: السعمران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، ص 29.

9- يُقصدُ بالمواطنة (la citoyenneté): "(1) مكانة أو علاقة اجتماعية بين شخصٍ طبيعي وبين مُجتمعٍ سياسي يُقدّم فيها الطرف الأول من خلال هذه العلاقة الولاء ويُقدّم الطرف الثاني الحماية ويُحدّد هذه العلاقة القانون. (2) صفة المواطن التي تُحدّد حقوقه وواجباته الوطنية التي يتمّ تلقينها له عن طريق التربية الوطنية"، ينظر: صالح، قاموس المصطلحات العلوم الاجتماعية انجليزي-عربي مع تعريف وشرح المصطلحات، ص 88.

10- وتدعي الكثير من هذه الدول ذات السيطرة، بإدعاء «ديمقراطية اللغات» ولو على حساب خصوصية الشعوب وهوياتها، "في إطار السياسة اللسانية، فالتحررية اللغوية السياسية، موقفٌ أُسس على مبدأ «دعه يتصرف» (laissez-faire)، وبالنظر إلى ذلك «دعه يتكلم» (laissez parler)، وهو يقتضي عدم التدخل بإزاء معيار معين أو تنوع أو لغة، لا بالوقوف إلى صالحها، ولا في وجهها، وإنما ترك النزعات (les tendances) الغالبة التصرف"، ينظر:

DUBOIS.J et autres, dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, p 284.

11- ينظر: زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة ثرائية، ص 14.

12- نفسه، ص 14.

13- ينظر: جوزيف، فندريس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950م، ص 350.

14- اللغة الوطنية، "هي اللغة التي تُعتبر اللغة الرئيسية للدولة، كما يعني إحدى اللّهجات الوطنية لجماعة من البشر كبيرة أو صغيرة تعيش داخل الدولة أو المجتمع اللغوي، ولا يُشترط لهذه اللغة أن تكون لغة أغلبية السكان، وإنما يُشترط أن تنال اعتراف الدولة بها وتأييد الحكومة لها." ينظر: حنا، معجم اللسانيات الحديثة، ص 92.

15- ينظر: حنا، معجم اللسانيات الحديثة، ص 96. والدستور (la constitution) أهم وثيقة في الدولة، يُقصد به: "مجموعة القواعد الأساسية التي تُبين نظام الحكم وتنظيم السلطات العامة وارتباطها ببعضها البعض واختصاص كل منها وتقرير ما للأفراد من حريات عامة وحقوق قبل الدولة. الدستور هو القانون الأعلى للدولة إذ أنه يضم مجموعة القواعد التي تمثل مكانة الصدارة بين سائر القواعد الأساسية فيها وهي تحدد

السُّلطات العامّة وتُبيّن الاختصاص لكلٍّ منها وعِلاقاتها ببعضٍ وبالأفراد"، ينظر: صالح، قاموس المصطلحات العلوم الاجتماعية انجليزي-عربيّ مع تعريف وشرح المصطلحات، ص 117.

-1716- voir: BAKHTINE Mikhail, le marxisme et la philosophie du langage, p25 وفي اعتقاديّ أن نشتغل على المِخيال اللِّسانيّ (l'imaginaire linguistique)، وهو مجموعة الأفكار والتّصورات التي يُقيّمها المتكلِّم أمام خيارات استعمال نمطٍ لغويّ معيّن.

18- ينظر: بن نعمان، التّعريب بين المبدأ والتّطبيق، ص 63 و64.

19- نفسه، ص 65.

20- يتعلّق هذا المفهوم -أي التّشريع اللِّسانيّ- بما يُصطلح عليه باللِّسانيّات القانونيّة، وهي "تضمُّ في أن معاً- دراسة لغة الحقوق وحقوق اللغة"، ينظر:

CORNU Gérard, linguistique juridique, p10.

ولم يُشر القانون الفرنسيّ سوى إلى الفرنسيّة لغةً للجمهورية الفرنسيّة، والمتمثّل في "القانون 04 أوت 1994، الذي ينصُّ على كون اللغة الفرنسيّة هي "لغة التّعليم والعمل، والمبادلات والخدمات العموميّة"،

Ibid., p 428.

21- أشارَ الجاحظ (ت 255هـ) لحالة الثنائية اللُّغويّة، فهو يذكّر: "ومتى وجدناه تكلّم بلسانين علّمنا أنّه قد أدخل الضّيم عليهما، لأنّ كلّ واحدٍ من اللّغتين تجذبُ الأخرى وتأخذُ منها وتعتزّضُ عليهما..."، ينظر، الجاحظ، الحيوان، ج2، ص443.

22- ينظر: سامي، عياد حنا، معجم اللِّسانيّات الحديثة، ص13.

23- تختلف وضعيّة العربيّة حديثاً، وهي سليلُ اللغة السّامية الأمّ مع الانجليزيّة، وهي جرمانيّة هندوأوروبيّة، والفرنسيّة، وهي لاتينيّة هندوأوروبيّة، عن وضعيّتها في عصورها الأولى مع الفارسيّة وغيرها؛ فالانجليزيّة والفرنسيّة قد أدخلت ديارها عنوةً واحتلالاً، ما أدّى إلى تحجّرها وانحسارها بسبب سياسة المحتلّ اللُّغويّة، ثمّ صارت الانجليزيّة والفرنسيّة اليوم امتداداً غير مُتكافئ لهذه الثنائيات اللُّغويّة، ولعلّ ما غلب هذا الرُّجحان، نشأة البرجوازيّة الصّغيرة داخل المجتمعات العربيّة ومواقفها المائلّة المميّلة نحو اللّغات الوافدة.

- 24- المخيال اللساني، يمثل مجموع الأفكار التي تتكوّن في ذهن المتعلّم عن لغته.
- 25- ينظر: عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص172.
- 26- يبدو من وضعيّة ازدواجيّة اللغويّة، الخطر على أمن اللغة العربيّة، ذلك إنّ الجماعات اللغويّة تقف من العربيّة واللغة الأجنبية، موقف الدّاني من العالي، وهذه الدّونيّة في العربيّة، مرّدها عدم كفاءتها وجدارتها في أعين الجماعات اللغويّة في التعبير عن العلوم والتّقنيات كلغة عصريّة.
- 27- ينظر: المعتوق، الحصيلة اللغويّة، أهميتها- مصادرها- وسائل تنميتها، ص08.
- 28- يصطلح عليه بالمحاكاة اللغوية أو الترجمة الحرفيّة، وهو أحد مظاهر التداخل اللغوي، والمقصود به، نقل الكلمات أو التّعابير عن لغة أخرى نقلاً حرفياً.
- 29- لغة التّعامل أو ما يصطلح عليه بـ: lingua franca، هي " لغة تستخدم عادةً عند أقوام تختلف لغاتهم الأمّ تيسيراً للاتّصال بينهم"، ينظر: حجازي، اللغة العربيّة في العصر الحديث، قضايا ومشكلات، ص147.
- 30-Voir: CALVET, linguistique et colonialisme, p86. 31- ينظر: بشر، اللغة العربيّة بين الوهم وسوء الفهم، ص 128.
- 32- Voir: DUMONT Pierre et MAURER Bruno, sociolinguistique du français en Afrique francophone, p60.
- 33- ينظر: مارتين، روبير، مدخل لفهم اللسانيات، ص 170.
- 34- ويكونوا العملّهم نامركزاً على " الإثراء، وخصوصاً المفردات العلميّة والتقنيّة. [...] وكذا عمليّة المعيرة"، ينظر:
- MATIN Robert, comprendre la linguistique, pp 166-167.
- 35-Voir: PICTON Aurélie, diachronie en langue de spécialité. p 32.
- 36-Voir: CABRE M. Teresa, la terminologie, théorie, méthode et applications p 95.
- 37- Voir: BOUYER Henri, introduction à la sociolinguistique, p 77.
- 3938- Voir: MAINGUENEAU Dominique, aborder la linguistique, p 56 ينظر:
- زكريا، قضايا السنيّة تطبيقيّة دراسة لغويّة اجتماعيّة نفسيّة معمقارنة تراثيّة، ص 10.
- 40- نفسه، ص 11.

- 41- ينظر: كوك، قاي، علما للغة التطبيقي، ترجمة يوسف بن عبد الرحمان الشامي، ص 181.
- 42- ينظر: سماعة، جواد، المعجم العلمي المختص (المنهج والمصطلح)، صص 963 و 96.

المصادر والمراجع:

أ- بالعربية:

- 1- بشر، كمال محمد، علم اللغة الاجتماعي مدخل، دار غريب، القاهرة، د.ت.
- 2-.....، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب، القاهرة، 1999م.
- 3- بن نعمان، أحمد، التعريب بين المبدأ والتطبيق، ط02، شركة دار الأمة، الجزائر، 1998م.
- 4- باي، ماريو، أسس علم اللغة، تر أحمد مختار عمر، ط08، عالم الكتب، القاهرة، 1998.
- 5- الجاحظ، أبو عمرو عثمان، الحيوان، ج2، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة القاهرة، 1938-1945.
- 6- جوزيف، فندريس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950م.
- 7- حجازي، محمود فهد، اللغة العربية في العصر الحديث، قضايا ومُشكلات، عبده غريب، القاهرة، د.ت.
- 8- حنا، سامي عباد وآخرون، معجم اللسانيات الحديثة، انكليزي-عربي، مكتبة لبنان، بيروت، 1997م.
- 9- زكريا، ميشال، قضايا ألسنية تطبيقية دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة ثرائية، ط01، دار العلم للملايين، بيروت 1993م.
- 10- السعران، محمود، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، ط02 مزيدة ومنقحة، الإسكندرية 1963م.
- 11- سماعة، جواد، المعجم العلمي المختص (المنهج والمصطلح)، معجم اللغة العربية، عدد خاص، مج75، دمشق، 2000م.

- 12- السيوطي، عبد الرحمان جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج 01، تحقيق محمد أحمد المولى وآخرين، عيسى الحلبي، القاهرة، د.ت.
- 13- صالح، مصلح أحمد، قاموس المصطلحات العلوم الاجتماعية انجليزي-عربي مع تعريف وشرح المصطلحات، ط 01، دار عالم الكتب، الرياض، 1420هـ/1999م.
- 14- كوك، فاي، علما للغة التطبيقي، ترجمة يوسف بن عبد الرحمان الشميمري، جامعة الملك سعود، الرياض، 2008م.
- 15- مارتين، روبر، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة عبد القادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة، ط 01، بيروت، 2007م.
- 16- المسدي، عبد السلام، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م.
- 17- المعتوق، أحمد محمد، الحصيلة اللغوية، أهميتها- مصادرها- وسائل تنميتها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 212، الكويت، 1996م.
- 18- وافي، علي عبد الواحد، اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

أ- بالأعجمية:

- 1- BAKHTINE Mikhail, le marxisme et la philosophie du langage, les éditions de Minuit, 1977, Paris.
- 2- BOUYER Henri, introduction à la sociolinguistique, Dunod, Paris, 200.
- 3- CABRE Maria Teresa, la terminologie, théorie, méthode et applications, traduit du catalan Monique c. cormier et John Humbley, les presses de l'université d'Ottawa, 1998.
- 4- CALVET Louis-Jean, linguistique et colonialisme, PAYOT, Paris, 1974.
- 5- CORNU Gérard, linguistique juridique, DELTA, 2^e édition, Paris, 2001.
- 6- DIDIER De Robillard, aménagement linguistique in MOREAU, Marie-louise sociolinguistique concepts de base, MARDAGA Belgique, 1997.
- 7- DUBOIS.J et autres, dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, 1994, paris.

- 8-DUMONT Pierre et MAURER Bruno, sociolinguistique du français en Afrique francophone, EDICEF, 1995.
- 9- MAINGUENEAU Dominique, aborder la linguistique, éditions du Seuil, Paris, 1996.
- 10- MATIN Robert, comprendre la linguistique, PUF, 2^e édition, 2004.
- 11-SAUSSURE Ferdinand de, cours de linguistique générale, éditions TALANTIKIT, Bejaïa, 2002.
- 12- ZEMMOUR David, initiation à la linguistique, Ellipses édition Marketing S.A, Paris, 2008.